وزارة الثقافة

الثقافة الجماهيرية

مديرية الثقافة الجماهيرية

بالإسكندرية

أكتوبر

وأدب الشباب

أكتوبر

وأدب الشباب

الغلاف تصميم الفنان رأفت صبري

للاستاذ الدكتور /محمد مصطفى هـ

إلى انتصار اكتوبر العظيم

مع الإجلال والتحية

كانت نكسه ١٩٦٧ بداية النهاية بالنسبة لسياسة المبالغة في تشويه الحقائق تضخيم الذات واختلاط الرؤى . بل كانت حصارا لاخطاء متراكمة ومغامرات غير محسوبة النتائج . وكان وقع الهزيمة عنيفا في نفوس أبناء الشعب الذين أنهار حصن الأمن الذي كان يعصمهم ، وأحسوا أنهم يواجهون بظهورهم العراء .

وانطلقت أقلام الكتاب والشعراء توقعلحنا حزينا على وتر النكسة حتى ليمكن القول بأكتمال وجود أدبي للنكسة يقال له أحيانـاً (الأدب الحزيراني) وترك الشاعر نزار قباني فتوحاته في عالم المرأة والجنس ليشبع العرب سخرية في (هوامش على دفتر النكسة) . ولم يكن وجود أمثال نزار فيساحة الفكر العربيالاعاملاً من عوامل النكسة . وقد صدق الشاعر السوداني سيد أحمد الحرولو حين كتب قصيدته (هوامش على دفاترهم سنة ١٩٦٧ يلعن فيها أسلوب نزار المليء بالتحنث والميوعة والجنس والشذوذ ، وجعل إهداء القصيدة (اليهم ، الذين ـ فجأة ـ خرجوا من جحورهم وعلقوا المشانق للمناضلين الشرفاء . إليهم وفيهم العميل ، وفيهم الجاسوس ، وفيهم أيضا نزار القباني :

أكتب للمزيفين واللصوص المخنثين

أكتب للمنافقين

أكتب للذين حسبوا على بلادنا رجال

أكتب للذين جاوزوا خمسيلهم

ولايزال بعضهم أطفال
أكتب للأشباه
الذين فجأة تحولوا أبطال
مأساتنا
أنا تركناهم لخمسين سنة
يبعثرون السم فى عقولنا
يعلموننا :
لكى تكون بطلا
لابد أن تعرف كيف تؤكل الكتف
وكيف تستحيل صنما من الخزف
مأساتنا
أنا تركنا واحدا مثل نزار
يوزع فينا تلكم الاشعار
عن جزر وحيدة ملسية
خلف البحار السبع
مرجانيـــة
عن النساء الزانيات
عن مومســـات باريس الرمادية
عن البطولات النسائية
والعنتريات الحريمية
وكانت الهزيمة
لأنا كنا مليئين بأغنيات الموت فى الشفاه
بمفردات العهد والحذر

بكل مافي الكون من ضجر
لانا كنا مليئين بأن الله
نام تحت هدب أمراة من قرطبة
لانا كنا نبيع الجنس فى مدريد
وهاهنا كان على حدودنا اليهود
يشيدون الموت واللحود
وفجأة يستيقظ الشاعر من سكرته
يخرج من صومعة النساء
يخرج للهواء
كأى طفل عاد من عقوقه بالاحياء
كأى طفل فجأة يصير رجلا
وفجأة يرفع فى وجوهنا مأساته القديمة
ويبكر الجريمة
ويصدر الحكم علينا بالفناء
لأننا كنا نعيش فى أشعاره
ونملك المعلقات
عن النساء الزانيات

ويمضى الشاعر السودانى الذى كان يعبر عن روح الشعب العربـــى المتحفز للثأر وتجاوز الهزيمة ، والذى كان يؤكد انفصال نـــزار ومن على شاكلته عن قضية الانسان العربى الذى يكافح فى جد وصبـــر فى كل مجال . ثم يقول له فى النهاية :

وفى الختام

ياشاعر الدانتيل والمخمل والرياش
يامن يرمـــش شرفنا
بالجنس والنعاس
نحن كبرنا ألف عام
نحن تركنا أن نموت فى الشفاه

وتحقق ماقاله الشاعر فى إصرار وعزم : لقد كبرنا ألف عـــــام بعد الهزيمة وتركنا أن نموت فى الشفاه واخترنا الموت فى ساحة الشرف والقتال ، أن نصر اكتوبر ١٩٧٣٠ كان ميلادا لتحقيـــق الشخصية المصرية التى تمتد جذور حضارتها آلاف الأعوام ، بعـد فترات من اليأس والاحباط ، وإن الأداء البطولى للمقاتل المصـرى فى هذه الحرب كان نابعامن إيمان لايقهره سلاح ، ومن تدريـــب شاق واعداد علمى تحكمه أدق الضوابط والمعايير ، ولم يكـــن اندفاعا حماسيا تلقائيا ، ولهذا كله نحنى الهامات اجلالا لذكرى هذا اليوم الذى سطر فيه المجاهدون الابطال صفحة خالدة فـــى تاريخ شعبنا العريق ، ويسرنا أن نقدم هنا ـ أقلام ادباء الاسكندرية فى هذا الكتاب تحية لانتصار اكتوبر العظيم ، ولن تكون كل هـــذه النفثات صدى مباشرا للانتصار فى المعركة ولكنها بطل ماتحويـــه من صدق وواقعية وبراعة فى الأداء تتجاوب مع روح النصر وتصـــدر عن ضميره الواعى وتستشرف افاقا مضيئة كان المقاتلون ينسجون أنوارها بأرواحهم الشفافة ودمائهم الطاهرة ، وعلى الله قصـــد السبيل.

د٠م/ محمد مصطفى هدارة

اشعار

فوزى خضر

صبرى ابو علم

احمد فضل شبلول

احمد مبارك

أناشيد العبور

بقلم : فوزى خضر

أنشودة الفخر

اليوم زغرد الرصاص فى الهواء ، كنت أحمل السماء فوق كتفى الحزين ، عرضي النجوم ٠٠ لو أباح تديها الغريب لن يعيدلى أبي إلى الديار ٠٠ كيف أستطيع أن أفوت ؟؟ كيف يستطيع أن يموت من يعاديني ؟؟ وها أنا أطل : آشرب اللهيب ، أبلغ السنين كى أمر من تكسر الشعاع فى نوافذ الملاهى لانطلاقه الأذان ٠

على أن أفوت ٠٠ كان ثوب أمي الحزين فوق صفحة القناة ، دلني على بلادى التى فقدت عينيها على انحناءة الطريق ٠٠ هبت السنون فى دمى ٠٠ وسافرت سيوف أهلي القدامى فى العروق ٠٠ شبت النار وهبت كل شعرة تود لو تخلق الرصاص فى يدى ، كنت باحثاً هناك عن بيوت أهلي القدامى فى الصباح ٠٠ واحتويت كل حبة من الرمال ٠٠ ليس فى الطريق من خطى سواى ٠٠ والسماء فوق كتفى ابتداءة الزمان ٠

٠٠

رسالة :

اليوم كنت ياأبى أكتب لك
كل النجوم لم يفز بعرضها منهم أحد
ونحن نرفع اللواء عبر كل خطوة
وأنت ـ خلفى ـ السند
٠٠ أود أن أهتف لك :
أيا أبى ٠٠
ياوطنى

الفخر لك
الفخر لك

قبل العبور ـ أنشودة ثانية

خوضاً .. إلى أن تخرج الخطوات في نار التواريخ العنيدة ، سيخ نار في لساني ، جمرة في الحلق .. تنتفض الرياح الهوج في صدري لتنهر في السماء قوافل الغيمات قافلة فقافلة تسير ، بطيئة ، أرتج ركضا في رواق دائري أشتهي مطرا ، يحملق في سقف أسكب العينين كأسين ارتقابا لابتداء الرأي ، فانتفضي بقلبي صرخة ، نهار منها وقفة الجدران في وجهي ، فوجهي ، ذلك التمثال ، مازالت تداعبه الأماني أن يعود الدم فيه العام كي يحيا ، يعود الدم فيه اليوم كي يحيا ، يعود الدم فيه الآن ، فانتفضي من القلب السابل يشتهي عيد الحصاد برقصة الاعطاء .. كوني في اشتعال الدرب ساقية المعابد ، كوب ماء ، دمعة .. على أشق النار خوضاً ، على أتملص الآن ابتداء بانعتاق القلب من جوف المعابد ، راكضاً في صفحة التاريخ أصفعها ، أعيد خطوطها ، وأفك خيط المومياء . أشدها من أذنها لترى رؤوس الناطحات علت على أهرامها لترى ليخرج سرها .. أبناؤك الغرباء مازالوا يبيعون التماثيل الصغيره في بلاد النفط ، مازالوا يعدون الرواتب والديون فقم أبا فرعون واجمع أصهر الأبناء ، كما ، من تلافيف المدائن هالك من دراعي الد..ما حبال الحصن يمسح في الصباح يسلك شمساً حره ،، مماً جديد؟ يشتهو انا ريح منتظرا .. ويبتدىء الفرح.

أبيني وبينك موعد للعرس في عيد الوطن في
أسى القربان فجر طالع
في ساعدي القربان دم دافق
في صوتي العيد المعاود من تلافيف الزمن !

صونى بنيك الآن من عهد الليالى ، من أكاذيب الجرائد ، من أيادى السارقين القوت ، وأنتظرى : ترى كيف التروس تدار ، كيف القمح يزرع ، كيف تأتيك الوجوه السمر ، وجهى ساعد فى الصخر ، وجهى منجل فى القمح ، وجهى عاشق ٠٠ يأتيك فاكهة ٠٠ فكونى ساعة ببيتى٠٠

وكونى مضجعى ٠

قبل العبور ـ أنشودة أولى

منطلق سهماً

مخترقاً جدران الأصواتِ إليك ، إليك الرحلة ، صوم الأعـــوام الأيام المشنوقة في تاريخي تتأرجح بين العينين ، تلوم ذراعـــي المشلولة ، ماء الوجه ، القدم المجنونة ، صمت القلب ، القلـــب القلب حدائق تتفتح ، تختال ٠٠ ، القلب المرآة ٠٠ انتبهي لـــي إني أدعوك ، أمد يدي إلى آخر طولهما ، أدعوك ، نذرت القلـــب لعينيك الخضراوين ، لوجهك ، وجهك ملتفت عني ، لايسمعنـــي وأنا أصرخ ٠٠ أصرخ ، أخرج من آخر صوتي ، منفيا فيك أنادي٠٠

ستجيء من الايام الأيام العرس العيد ، يعانقنا البدء حصـــاداً، أعلم أني يوما آتيك مواسم ، أنشق على كفيك ثيابا للأطفال ، رغيفاً أنشق رغيفين فأربعة فثمانية حتى تشبع كل الأفواه ٠٠ ، أجيئـــك ظمآناً كالموج ، عتيا كالريح ، سهيا منفرداً كالنجم أعانق فيـــك مواعيد العودة للوطن الغائب ، كان ارتحل الوطن يجوب الآفـــاق ينقب عن رزق ، كنا ننتظر العودة في جوف خنادق تعرفنا بسعـــال ليلى (كنت نبوءة أيام العشق الشتوى ، وقفت طويلا في البـــرد المحبوب عشيقا مرتقباً وجهك ينهد من بين وجوه التلميـــذات حملت قصيدة شعر من عيني كانت رأس المال وغبت ، رسمت علـــى زبدي قلباً يطعنه سهم) ها أنذا آتيك الليلة ، ها أنذا منطلقـــاً سهما أخترق جدار الأصوات إليك ، أنادي ملء الريح ، تنادي الريح، أنادي ٠٠٠٠٠.

يخنقني صوتـــــي

إنتظريني حين يعود الوطن الغائب ، أحمل في جمجمتي ميعـاداً ، أحمل زاداً وعتاداً ، في كفي : كيف الحال ؟؟ •• انتظريني فــــي ميلاد الطفل : أبا ، في خوف الأيدي أن تمتد لأخذ الحق : بـــدءاً في الأُسس : غداً في الصمت : لسانا ، ها أنذا منطلق سهمــــا ، مخترقا جدران الأصوات إليك لعلك تلتفين لصوتي •

أنشودة الانفجار

ها٠٠ قادم كالنار مندفقا على دربى ، أعاند كل ماسنته فــــى الأرض الجهات الأربع ، احترقت ثمار العام بعد العام ، فأشتعلـت جذورى ، صمت : لاجدوى ، قتلت الصمت : لاجدوى ٠٠ غشـــورى يابدور العام ، كونى غير ماألفت فصولى ، غير ماألف الشجر ٠

كونى تباشير المطر

كونى قمـــر

ليست له لغة القمر

كونى حروف النار ، تجدع ريحها أنف الفضاء ٠
كونى رداء
يحوى تباشير السماء
ويسير فى الأسواق يحمل سلة الخبز الجديد

كونى ابتداءات الشرر

وتحررى فى ساعة الإصرار من ماء الملامة

كونى العلامة يابدور العام

كونى صرختى٠٠

كونى العلامة

أغنية للصبـــاح

شعـر صبرى أبو علم

ياندماء الليل ويارفقاء السهرة

الليلة نمرح ·· نلهو

نلعـ ... الـنرد ونستطلع برج القوس

نسهر حتى نلقى وجه الشمس

ونودع ليل الأمس

فقفوا ساعة يأتينا الصبح

وانقضـــوا

حتى لايعلق طرف الأمس بطرف الشمس

فالغد يأتى ليس كما كان يجىء

- يختال ويمـرح -

لكن يشهر رمحا ويقود براقا

يتنكر لرجال الظلمة والأيام الجدباء

ينهل بالرمح دموع الجبناء .

ودماء الأبطال المنتصرين

فيلون ماء النيل بلون الأرض ولون الحب

ولون الأيام المخضرة فى عينى طفل

نشيـــد الحب

شعر : صبرى أبو علم

اصرخ .. من يسمع صوتى

أصمت .. من يسمع صوتى

والوادى بين الجبلين بئس

يسمع الصوت ، يضيع الصمت

يسود الموت بلاد الحس

يابلدى .. نجمات الغربة فى قلبى ماضاءت يوما

وحنين الطفل لاعشاب الغيط تراب الأرض ، رفاق البدء يصاحبنى دوما

ومياه النيل حلاونها قدتركت فى شفتى وسما

ونشيد الصبح بصدر ستى ينرددر غما

....

مصر التى فى خاطرى أرضا وأحبابا ونعمى

مصر التى فى خاطرى شمسا وظلا وأشجارا ونجما

مصر التى فى خاطرى تهب الحياة لمن أراد الخلد يوما

مصر التى رسمت لنا التاريخ رسما

مصر التى منها تعلم من أشاع اليوم علما

مصر التى باتت بأضلعنا ـ بجوف القلب ترعى

نسعى النهار مجاهدين ومصر رغم الجهد تسعى

عشنا نفاخر يابلادى أننا كالزرع زرعا ٠

****

هذا ترابك يابلادى فى جبينى

بلون التبر حينا وحينا كاللجين

وأعزف بالدماء نشيد حبى

ورغم الدم تعزفه عيونى

فهاتوا كل أحلام الصبايا

وأرتال اليقين مع الظنون

سأفرش ساحتى ـ قلبى ـ زهورا

وارويها بآنضار السنين

وأجعل كل نبضاتى جنودا

تدافع عن زهورى ، عن يقينى

لسيناء المجد

شعر : صبرى أبو علم

الشمس فى سينا كالشمس فى الاقصر

فشعاعها يلمع ، وضياؤها يسطع

والحب فى البلدين قنديل على المعبد

تتلى الصلاة بساحة الكرنك

فيرتل النساك شعائر العودة

" ياسانت كاترين السلام ..

الحب قد يأتى ولايرجع

وقد يرجـــع

ايزيس تسهر فى المساء على الضفاف الدامعة

تصل الضفاف لأوزوريس كى يرجع

****

الموت فى سيناء لايأتى كما يأتى

الموت فى سيناء صلبان على الرمل

ونوبات فجائية

تتحمس الاحجار قبل الروح

تقتلها علانية

****

العار ياسيناء للهكسوس ان دخلوا وماعادوا

المجد ياأحمس

المجد فى سيناء للأتين من أرض النبوة للربوع والمسلمة

للقاشمين على الدروب اشارات وآذانا

للناثرين على السلام سلاما

المجد لابن العاص

المجد ياعمر ٠٠ لله ياعمر

****

يارالدين بمهجع الشمس السخية فى ساحة الأقصر

تترقبون الرب فى صمت وأمنية

ونعددون لزفة اللقيا مزامير وانشادا

والمجد تنتظرون فى الموت والعودة

* * * * * * * * * * *

المجد يامصري أضحية تحت الشمس أن نطلع

المجد فى سيناء للقتلى والجرحى وللدانات فى المدفع

* * * * * * * *

المآذن تبحر في غابة الأعمـــدة

شعر / أحمد فضل شبلول

صـــوت :

أنت وحدك في غربة الأزمنة

والعصافير جاءت صقورا

فهل حدثتك عن الوشوشات التي في المخالب؟

والنوارس مرت أمامك

لاتعرفك

والمآذن تبحر في غابة الأعمدة

بين عمود النيون ،

عمود السوارى ،

والمئذنة

ليس غير البيوت القتيلة ،

بعض المداين ،

الادعية

صــــوت :

أيها الحارس الملكى اليقظ

جئت من قاع تلك المدينة ،

كى أشتكى

للحوائط آذانها الصاغية

وأنا ..

لى عمود السوارى ،

وتكبيره فى السماء

وتلك الشواطىء

لا أبتغى غير ذرات رمل

وكسرة خبــــز

أداوى بها جرح سنبلة

سقطت فى صفير الرياح

صــــوت :

كنت وحدك فى ساحة الروع

حين التفتنا الى زرقة الأبخرة

كنت وحدك فى دهشة الاسئلة

في الحناءات تلك المخور

وفي نبضة العشبة المبحرة

بينما تعبر البحر لجة من أسى

تستقر على قمة الأعمدة

ليس بين عمود النيون

وهذا العمود

سوى ذكريات تمر

حروب تكر

وجنود تفى

وخطوة هذا الزمان العتيق

وهبة تلك الليالي الآخيرة

أنت لاتبتغى أن تصل

المآذن تغلق أبوابها

لاتريد من الشاطىء المستحم

سوى ذرة مد رمال

وكسرة خبز

تداوى بها

جرح سنبلة

سقطت في صفير الرياح .. ؟

صـــوت :

كنت وحدك في ساحة الروح

تحت ظلال الصوارى

بينمـــا خطوات الشموس

تدوس القوارب

في كل فجر

ظلت تنادى على طائر الأمس

في كل حلم

كل مكان

ومرت رياح الشمـــال

وأنت تنـــادى

وجاءت عصافير هذا الزمان

وحطت على همجات الرجال

وانت تنادى

ترى من سيترك منزله

في الظلام

ويهبط

كي يفتديك

صـــوت :

كنت وحـــدك

أصبحت شعباعلى الأرصفة

يكنس الآن

أو يختفي في ظلام المقابر

والأبخـــرة

بينما البحر يضرب شاطئه

ويزحزح احجاره الصابـــرة

ويشد الشباك الي البـــر

في عنفوان

وفي لحظة تأثره

احمدفضل شبلول

١٩٨٦/٦/٢٧

شهيـــــد

(الى روح صديق أغلى سنوات العمر فوق
رمال الوطن الشهيد • سمير فؤاد • أحد شهداء سلاح المهندسين
فى أكتوبر المجيـــد)

شعـــر / أحمد محمود مبارك

وكان يحب الشروق

لذا ،

كانت الشمس تولد داخل خندقه

والتلال المحيطة لماتزل تتثاءب

وتسبق عيناه

عين النداء النحاسى

يرقب بدء احتياج الشعاع

حصون الغياهب

وكان يعيش القصائد

ويكتب فوق غلاف الدخان

وفوق قماش الخيام

وفوق كعوب البنادق

تفاعيل عشق

وشوق ،

لذا الثرى القدسى

المحاصر بالويل

والليل

والأخطبوط الذى يتمدد على المياه وعلى الخنادق

٢ - شهيد

وكان يكابد

غيوما من الأمس ،

تصبغ دلتا البلاد بلون الموات

وتلقى على النيل سبيل الخطوب

تغطى عيون أبى الهول

تملأ سحنة رمسيس بالكدمات

إلى أن سرت فى الرمال

دماه قصيــــده

تفاعيلها نغمات الرجوع

تلتها الروابى السعيدة

بهفهفة الراية المستعيدة

هديل الحمام لبرج القلوب

التى طال فيها نشيج

المواجد

فإن نكتبوا عنه ألف قصيدة

اريج

قصيدته فى الربوع

سيبقى وتغلى جميع القصائد

شعر / احمد محمود مبارك

قبل الشروق

شعر / احمد محمود مبارك

كفكفى دمعك الآن

حان ،

رحيل الزمان الحزين ،

وحان ،

اياب هديل الحمام لسمع السنين

وحان ،

مرور شفاه الربيع على صفرة الياسمين ،

****

أنها رحلة العمر ،

جبت الدروب التي ٠٠ كل أنهارها ناضبات

وكل الثمار بأشجارها جمرات

وكل الهواء بأرجائها ٠٠ زفرة من لهيب

وجبت البحار التى مدد الأخطبوط

مئات الايادي بها

والهلاك يعشش في مائها

والظلام استوى حاجبا شطها

ثم أصبح لم يبق بين تلامس رمش ورثك في قلبه ،

غير درب قريب

****

كفكفي دمعك الآن ،

آت اليك

ويصحب خطوي شعاع ،

يزيل غبار القتامة عن وجنتيك ،

ويصهر تلك القيود التي أرهقت ساعديك

قبل الشروق

ويذرع أزهار سور

على ضفتي مقلتيك ،

وبين ضلوعي يداع

سيكتب فوق جبين السنين

لكي يقرأ العاشقون

اذا ماطواني الملون - حكايا

تعيش برغم لزوح قطار الليالي

وتطعم ضوء اليقين ،

إذا ما اعترته غيوم الزوال ،

وتلقى النذير على مسمع الظالمين

شعر / أحمد محمود مبارك

المهـــــر

شعر / أحمد محمود مبارك

خطفوها .. ذات الجدائل لما   خدر النوم بالعيون استبدا

دونها البيد والغراس رماح   كل شبر أحالة الهول سدا

نرمق الأفق بالأماني فتعشو   ويصير الفراغ سجنا وقيدا

* * *

ذاك مهر فوق الرماح وحيد   يتحدى المنون كي تستردا

ينظر المهر حوله لاصحاب   فر من ثار قبله أو تردى

غير أن العيون بالعزم وقد   وموار على المدى ليس يهدا

أيها المهر بعد تلك الروابي   شجر الغار قدنما وتندى

والنجيمات في بديها وشاح   للذي يرجع السليبة يهدى

أيهدا الجسور كم من رماح   لم يكن نصلها لغرمك ندا

فامض وارم بالعزم دوما   بعض درب لمايزل يتحدى

ليس بعينيك أن تولى رفاق   ليس بعينيك كم جواد تردى

بكبر المجد أن مضيت وحيدا   ما أعز الجسور إن كان فردا

شعر / احمد محمود مبارك

قصص قصيرة

رجب سعد السيد

سعيد بكر

سعيد بدر

نقش على جدران كهف الخوف

بقلم : رجب سعد السيد

حاولت أن أتمدد مسترخيا . التوقف يصيبني بالضيق .. العربة في حفرتها تحت شبكة التمويه تبدو كجثة هامدة. لست أدري بالضبط سبب تأخرنا . لعله ارتباك على المعابر ، أو لعل العدو بدأ يفيق من المفاجأة ويحاول الضغط.

- " وحد الله يارقيب ! "

محمد كامل ، سائق العربة . لابد أنه كان يرقب سرحتي الطويلة. صوته المزعج أهم مايميزه . بنفس هذا الصوت كان يغني لي موال (شفيقة ومتولي) ، وكان حين يأخذه الانفعال يستحيل حزينا مؤثراً ، وكانت الدموع تختنق وهو يروي المشهد الختامي. كان متجها إلى العربة ، فعرفت سر تركه لحفرته.

- إلى أين ؟
- الجوع كافر ...
- كما لو كنت صائماً ؟... !
- ياسي ! .. ربك عالم وشايف .. والمفتي قال " أفطروا "
- طيب . ولكن .. على مهلك .. لاتكن قاسياً .
- لا تخف يارقيبنا . خيره ربنا كثير .

ويبدو أن مناقشة أخرى من نفس النوع قد تمت بين محمد وأحمد بعيد فقد سمعت الأخير يوبخه على إفطاره ، ويحذره من الاسراف.

كان أحمد بالعربة . أصر - منذ بداية التحرك - على البقاء خلف "الجريكوف" يسيطر عليه حلم أن يسقط طائرة . أدركت أنه في معركة غير متكافئة مع الخوف منذ أن مرقت فوقنا طائرتا الفانتوم يبدو أنني قد تسرعت في إصراري على ضمه إلى دوريتي . لم أشأ أن اكلمه . لن يلبث أن يتطعم ضد الخوف بجرعات خوف إضافية . ليس وحده الخائف . أنا أيضا خائف : أرى الآن مدى حده الشفرات التي كنا نقطع بها اجسادنا . تترى في اذني أصوات فرقعة السياط تهوى بها ظهورنا . يتجسد أمامي ذلك التمثال المسخ الذي شيدناه بأيدينا وملطنا بطين اليأس نسخا منه تطالعنا صباح مساء في الشوارع والميادين ، في بيوتنا وعلى أسرتنا ، وفي محاجر عيوننا .

أيها الفارس المرتعش الآن : بالأمس القريب .
شهدتك الساحات محمولا فوق الأعناق حنجرة
بتارة تطلق خيولك في كل الاتجاهات تطأ
بسنابكها كل الرؤوس ، توزع الألوان والأجناس
.. تعم وتبارك . ها أنت تواجه الغول
تثقلك ترسيبات الخوف الكلسية من "حجرة
الفئران" بالمدرسة الابتدائية ، حتى أشعار النكسة
السوداء . هل سيقوى "الشاطر" على حمل
سيفه والتحام الكهف ، أم أنه لن يزيد عن
مجرد (مقلة صباع) لاتكفي لسد المسافة بين
الباب (أمنا الغولة) ؟

انطلق صوت آلات الانذار مع اقتحام الهدير • إغارة أخرى • كانت الطائرات عالية جدا وأيناها بصعوبة كندفات سحاب بيضاء دقيقة • كانت فوقنا تماما، لكنها تجبن عن الاقتراب من أذرعة الصواريخ • امتنع أحمد سعد - بتعقل تام هذه المرة - عن إطلاق مدفعه ولكنه بقي خلفه متحفزا •

حين غربت الشمس كنا لانزال في حفرنا • وكان الضيق قد بلغ بعض مداه • فتركت الحفرة وجلست بالعربة • أشعلت سيجارة أخذت أدخنها بشراهة •

••

سجح الليل في حبك مؤامرته عليّ • كان موجودا كثيف لحظة صاح محمد كامل :

- يا أم هاشم • ركبنا الجسر •

قفزت فوق الأسوار • حبكت رقائق الصلب تحيط صدري • جهزت اشوطتي وكلابتي • ولم أنس أن اتمتم في سري كل مدخراتي من الأدعية •

.. قادم إليك أيها الغول • أعرف الأرض تحت قدمي • وحين اقف ببابك سأزعق فيك أن تخرج لي ، فترد على كلماتي الأصداء •

أعرف أنك موجود وأنك تتخبط • أعرف أيضا أن جزءا من تكوينك لايزال ينظر من عيني ويقبع في رأسي • لكني أملك دوائي• مرحى أسياخ النار • مري في عيني • جوسي في أقبية المخ • اقتلعي أشجار الألم النجسة تنزف معها كل خلايا الغربة في الوطن ـ الاحزان ـ النكسة •

وطأت العربة الضفة الشرقية ، وأنطلقت في (الرتل) بسرعة أتلفت ومزاج محمد كامل كان يلفه بكشل ضايقني • كنت صامتا أتعجب من نفسي : أتألم فأبتلع آلامي • وحين يجيء الفرح ، يجد قوالب الجمود •

تمايح الجميع حين عبرت عربتنا الجسر ، كنت مشغولا بالتكشير في وجه دهشة الفرح•

استجبت الى ثرثرة محمد كامل• ولم تكن ثرثرته هذه المرة وسيلة لطرد النعاس • كان صوته يتدفق حيوية •كانت عيناه لاتكلان من استطلاع الطريق لعربته المنطلقة مطفأة العيون•

ويبدو أني قد غفوت قليلا • •فقد تنبهت الى وقوف العربة فجأة • وجدت محمد كامل يفتح العربة ويتنزل ليزود المحرك بكمية مياه اضافية • ينقي أحمد سعد ليسأل عن سبب توقف العربة لم يترك لي محمد الفرصة لأوضح له • انطلق صوته يزعق في دعابة خشنة :

- اسف للازعاج يابك !

اقفل غطاء العربة ، ورجع الى مكانه . رجع يشاكس أحمد سعد الذي كان يجلس الى الخلف منه .

- طبعا .. كلكم نيام . وأنا السائق الخصوصي . حتى الحرب تنامون فيها .. صحيح عساكر " الكيما " .

لم يكن بالطبع ، يقصد أكثر من مجرد نكتة فاقعة . كنت أفكر في جدوى لفت نظره الى عدم لياقة مثل هذا الكلام في هذه الظروف . غير أن احمد سعد انطلق متحديا :

- ها . كأنك تسوق رولزرويس

- اية ؟ ! على النعمة . عزيزة هذه أحسن من الروزرويس التي تتحدث عنها .

- كأنك شفت الرولزرويس ؟

- كثير . كل اجازة أجدها في المحطة .

- ماهي ؟

- عربات النوم في القطار المجرى

قهقهنا . حتى ابراهيم ، الذي كان يتابع مايجرى . أخذ يقهقه فلما سأله أحمد سعد - بخبث - من الرولزرويس - قال أنه لايعرفها لم يسأله أحد عما يضحكه - اذن - على جهل محمد كامل . فقط كان جوابه دعوة جديدة لأن نقهقه جميعا اكتشفت ساعتها أننا محتاجون لأن نضحك من أعماقنا .

عرضت علي محمد أن يستريح قليلا، فرحب على الفور • ترك لي عجلة القيادة ، ورجع الى الخلف - تمدد ، وسمعت شخيره•

كان الصمت غريبا حقا • بدأ فجأة وطال • ونحن ننهب الطريق دون وقفات • كنت أتنفس جيدا • عضلات وجهي لم تعد متصلبة• الجو يزداد برودة •
نحن نقترب من ساحل الخليج لنسير بمحاذاته في اتجاه الجنوب هاهو الهواء يحمل الى أنفي تلك الرائحة المميزة : رائحة البحر في مدينتي الحبيبة. أتذكر أنني لم استمتع بالبحر في الصيف الفائت • تبرز لي " محطة الرمل " • تجمعات الاصدقاء " على كيفك " و " تريانو " ودقات طبول الزفاف كل ليلة في مسرح تروبيكو " " عم السيد " بائع الصحف ، والثمانون قرشا دينه على • " محمد حافظ رجب " وقصته " حديث بائع مكسور القلب" عينا ذات الجدائل الذهبية في لوحة " محمود سعيد " كل ذلك مغلف برائحة الملح واليود • تحسها أغشية الأنف • تقترب مني الآن • أخذت أرقب خيوط النهار الأولى تولد • أحاول أن أنجو بنفسي من وحلات التشاؤم رأيت من قبل ميلاد النهار في الصحراء مئات المرات ، ولكني أراه اليوم مختلفا • كأن أشعة الشمس جديدة مغسولة ، وكأنها من مصدر آخر غير الشمس •• كأنها لاتشرق على كل تلك المساحة الشاسعة التي يواجهها من الأرض • بل تبزغ فقط من تلك النقطة بعينها لترسل أشعتها الخاصة الى هذه البقعة من حولي تضيؤها لتنعكس في عيني ملامح الطريق الوعر

والتباب البعيدة وزرقة البحر التى كنت أتمنى لو كانت أقــرب وكان ضوء النهار يحدثنى : هذه هى سيناء التى سمعتها أغنيــة فى آخر اجازة لك قبل الحرب : " سيناء ٠٠ ياشراع السفينة٠

٠٠

التوقف مرة أخرى الضيق التشاوم٠

حاول محمد كامل أن يخفف من توترى٠ سألنى عن رأيي فى كــوب شاى بالحليب " تغيير ريق " فلا أحد فينا صائم اليوم٠ وافقتــه نصب معداته وراح يعد الشاى وهو يغنى٠

لم يكتب لهذا الشاى أن يشرب٠ توتر الموقف فجأة ٠ ولزمنا حفرنا كنا نعانى بعض الصعوبات٠ أفزعنى منظر عربات الخدمات الطبية حاولت أن أطرد هواجسى ولكن الانتظار فى الحفر طال٠ ضقــت بهذا الدور - برغم أهميته التى أعرفها جيدا - ضقت به وإن كنــت أتمنى ألا ترغمنى الظروف على أدائه ٠٠ فأنا أعرف معنى (ضربة الغاز) ، فإذا أسرفنا فى التفاؤل وتفاديناها ، فإننا لن نسلــم منها قيدا قد يستخدمه العدو ضدنا ٠ وهكذا ٠٠ أرجو الا يسألنــى ابنائى فى المستقبل عن دورى فى الحرب ، لأننى - فى حزن شديــد سيعصف حتما بملامح وجهى الشائخة - سأذكر لهم أننى دخلــت الحرب أنانيا طامعا فى غنم خاص ، واكتفيت - فى النهايــة - بدور المشاهد ٠

أخيرا سقط المعمار الكهفى ، زال قناع الغول. سحت فى ارجاء النقطة الحصينة . أصر الرفاق على حمل التذكارات : ملابس فوارغ الدانات .. مهمات الرفاهية بقيت واقفا فى قاعة فسيحة تمسح عيناى جدرانها .. تقرأن نقوشا غير مرئية .. تحاولان ترجمتها . أخرج سكينى وأسجل على جدران الكهف - المسلة :

ايها الجنين المنتظر .. طال المخاض .. احتملناه ونحتمله
لكنك يجب أن تكتمل لتخرج الى الحياة قويا مزدهرا واعدا

رجب سعد السيد

التشت رؤوس لعود الحلقة
الجوزة . الدائرة . والكلمات
ـ اغلق فالك يارجل .. فملك يخرج صراصير
طويلة هي الغاية .. تدور .. من حلق لحلق آخر .. تدور
ـ هذا دخان ياأعمى .. الصراصير تطير فوق رأسي.
متناثرة في الكون الشابيك .. تتضخم.

ـ لعب برأسيكما المخدر حتى يتما تحسبان الحجارة صراصير ؟
ـ ياجماعة . ياجماعة .. عه.. عه.. عه.. ان الذى يدور في
الحجرة ماهو الا الخفافيش . لاهي الحجارة ولاهو البوص.

ـ اقسم بتربة امى .. أن السابح في الجو صرصورا
والقم الشدق البوصة.. ابتلع الصدر الدخان.. حاصرته التلافيف.
احتجزته المنافذ ـ امتصته الجدران .. أخرج من فتحتى المنخار
دخانا كثيفا ..
تدلت اذنا المتلقي للبوصة.. اغمض عينيه نصف المغلقين ملا
الرئتين .
ـ ياأخي قلنا هذا طائر الوطواق.
ـ هذا خفاش .. زوجتى تطبخ الخفافيش على أسيارغاليـــل..
أقول لها هذه خفافيش تقول لي زغا . زغاليل .. ياأمراة زغاليل
تقول لي خفافيش .

كدست على الأرض وبجوار الموقد قطع الحشيش ٠٠ تراصـــــــت على حواف الحجارة فتافيت المعسل

- امرأتك كانت مسطولة٠

- أوكانت مقفولة

- ياجماعة ٠٠ ياجماعة ٠٠ فعلا ٠٠ لماذا كل الشبابيك مقفولة؟ لن ينعشني سوى هواء الخارج٠

- حتى لاتخرج الخفافيش

كركرت في دوائرها الجوزة٠٠ القمت البصوة كل الأفواه٠٠انبسطت الرؤوس فوق الابدان القاعدة٠

- اذكر الآن سنوات الحرب٠٠ كان الدخان معبقا ماعدا الـــــى السماء ٠٠ مثل الآن تماما ٠٠ وكنت في خندقي ٠٠ وكانت الطائرات المنيرة تقتحم الجو مثل هذه الخفافيش٠

- يابنى هذه صراصير

- ياجماعة ٠٠ ياجماعة ٠٠ اتذكرون ابن المغيرة ؟

- نعم ٠٠ ذلك الواقف على قمة الحارة

- وذلك القاعد خلف الشباك المقفول

- المقفول

- تلك الطائرات المنيرة كانت تقتل خوفنا

- من المباحث ؟

- من مكتب التموين..
- ورجال الجمارك ..

انتفض زى الخفافيش عن وسادته.. نفض جاكتته الشمواه...
راح يدعك اطرافها . استمر فى الدعك والتنفيض حتى ضحك
الاخرون من قامته المنحنية .. حين فطن الى استمرار الدعك
انطلق يطارد الخفاش. كان الخفاش يتحرك على الحائط.

نهض عباس المراصيرى.. ثبت نظارته البنية ذات السياج
الذهبى.. انفرط يطارد الصرصور بكفه الخاوية من الجوزة لكن
الصرصور يتحرك .. لم يزل.. فوق الحائط.

- قلنا .. نفتح .. نفتح .. نفتح الشباك .. وهو يخرج

- لابد أن نقتله.
انهمك مدبولى الطائرى.. مرتبكا .. فى تثبيت سياج نظارته
السوداء واتبلاع ريقه الجاف . ضحك من نفسه ويده المعروقة
تواصل التثبيت.

- ياجماعة .. ياجماعة .. افتحوا الشباك.

ترك عزوز المتجهم وجهه بكدس الحشيش وشرع فى محاولة
القيام مستندا بيده المضمومة على ساقة الملتوية معالجا
وملينا قطع الحشيش تحت اسنانه.

حين استقام بدله النحيل ضرب رأسه القائم اللمبة المدلاه والمطفئة الى جوار الاباجورة الحمراء فارتعش على الحائط الخفاش. وتراقص المرصور .. تفاقم فى الصدور الغيظ المسطول.

أيأتى خفاش لعين لينزع من الادمغة الانتعاش ؟

انتفض عن المخدة جسم مدبولى .. فتح الشباك على مصراعيه فى المقابل .. استقام البيت القديم منهوكا . كان يتلوى .. تطايرت الأدخنة ودارت فى الحجرة مع ريح الليل الآتى ليفتح الباب الموارب.. تطايرت اطراف الايشاربات النايلون والقمصان الحريمىفوق الحقائب الجلدية الضخمة المتراصة فى ركن الحجرة الى جوار السجاجيد الملفوفه المستندة على الحائط الساقط بياضه دارت الادمغة مع التيار العاتى.انطلق البعض يحمى النايلون.

دفعت اليد حاملة الجوزة المرصور بقوة المقت الكامن فى ذراع حامل الحشيش..قذفت الايدى الجوزة بالخارج.. تلاقت الايدى حاملة الحشيش بأفريز الشباك فتألمت ولايزال على الحائط الخفاش يتراقص وكلما هزت الريح والحركة السريعة اللمبة المطفئة .. ضحكوا .. ضحكوا .. ضحكوا ..

ولامسوا السجاجيد وقمصان النوم.

*****

افتح الشباك :

قليل البيت مكتوم فى أركانه الصمت يتوق لرنه الاصوات.
على الأسطح والدهاليز- يخرجون - تفجر فى الأبدان - الجمسر
رغبات
النهارات الناثية والمنسحقة تحت الشمس المحمية وعروق الخشب
والسقالات وقوالب الطوب الابيض وليونة الاسمنت والجيروبناية
العمارات فى أرض الغربة.

وحرق الصدر بالدخان.. يقهرون الليل والأبدان والتعب ..
تأتى اللسوة بالاكواب والاثواب واساور الذهب .. يخرجسون
القوة أوراقا طوتها الايدى وجيوب الحقائب .. تبهر الأعيسن
فتتهاوى فى زوايا الحقائب الأعين.. شاردة .. رافعة أعمسدة
الاجساد اعجابا وتشويقا .. ووحى مخزون الغربة.

افتح الشباك :

ومد العلق من الاضلاع .. فعلى الدهاليز افترشت الحصير

وليونه الاجساد لتتلقى تحت القيظ والظلام - نسوة الاخرين

فوق الطوب والسقالة - ضربات رجال عائدين كانوا يطاردون فى

" غرزة " البدروم طائرهم الوهمي.

****

افتح الشباك :

فمن جحور البيوت قصارا القامات تخرج السحالى .. فى

الليل الشاحب لونه .. تجوس الخفافيش فى المستلقفات

النائثة برغاوى الصابون الآسن والطين صراصير تنقنق. وقططا

تلف الأزقة .. تحدق نباح الكلاب المتقطع. سقف بأنف

زليل وسط القمامة.

عن شيىء يؤكل .. وعن ركن - تنقب - للاقامة.

******

أتذكر صديق المكان .. الزمان .. والحجرة.. والسقالـــة

والبئر ؟ كيف تهاوت به الغفه .. وكيف انضمت على اضلاعه

.. في يوم حار - جدران البئر السحيق .. ؟ أكان متعبا ..؟

أم كان يدق في ليالى الصمت المسامير ؟

أكانت معه في الحضن امرأة .. زوجة ؟

الم يكن شخيرة الزاعق في أركان الغرفة يقلق نومك .. ويقاوم

شخيرك العالى ؟

ويحفز يديك لتشعل في عز الليل الوابور لتضع حطب الذرة

وتعد لرأسك المصدوع الجوزة لتخمد المخ النابض تعباً ؟

ولتفتح الشباك .. ولتبصر النساء على الدهاليز يضاجعـــن

الربح فى انتظار عودة الرجال • يعزعن كبت الرغبات المحمومة

ضحكا وتلقيحا لاحاديث يبعثنها اليكما عبر الأضواء الباهتـــة

بعدم المرؤة والشهامة والبرود •• امكدودا مات ••؟

أم شحنت رأسه التأوهات الملتاعه.؟

*****

افتح الشباك فجر الليل ملعون

****

قال •• ورميل الغرفة • والغربة • فوق الحصير مطروح ••

- هات العجل والكرات وطبق المش وغديني ••

- جفاف الخبز يصدمني ••

- دلك مانتقي من أفران النيل ••

- الم تزهق من المش والكرات ؟

- خبز البلد الشمس .. اكثر جفافا .. كنت تأكله ..

- هذا زمن فات ..

- وما الذى جد ؟

- خبز المدينة أكثر طراوة..

- سوقف البيت فى الصعيد خوص؟

- ونساء كالخفر ..

- يلبسن البراقع والطويل..

جانبا سحبت المش والكرات .. جفاف الخبز .. سهمت فى

شقوق الحائط نظراتك .. قتلت بيدك المتحجرة صرصورا ماجنا

فوق سقف الحلة يتبختر ..

انفرجت عن وجهك الصلد نصف ابتسامة .. كان صوته يأتيك

من بعيد ..

- أرأيت الريح وهو يلعب بأطراف الجلابيب

وابتلعت النسمات المقبلة من الشباك المفتوح.. ويقول..

ـ اتسمع ضحاكاتهن الرنانة ..؟

ومد العين نحو الحارة وسأل ربه .. ضحكت الأسف بطويلة ..

قلت .

ـ وكيف نبلي السلف الخوص ..؟

واتكئ على بطنه .. ليلتها .. ونام..

***

وعادوا .. امتطوا السحاب والسفاشن..جاءوا..الانبهار في العيون وفي التاكسيات الحقائب.يبصرون الخلق والجيران من خلف نظارات الشمس.. وفي الليل ـ والمهابة .. يمدون الخطى في الأحذية الجلدية بثقة .. واضعي الانوف في الرؤوس المكوية.. أنوفا مقصوفة وخلفاء.يتبخترون في ألوان الثياب المتنافرة تحت الجلد والشمواه.

****

في كل الصباحات يأتون من كل قاع في المدينة .. يقصدون الميدان الفسيح.. جماعات جماعات .. يلثمون المناخير بالتلافيح والشالات.. يخبئون في جيوب القفاطين ارتعاشات الاصابع .. مكومين في تداخل .. تتكئ على جنوبهم اللفاعي

والمجاريف ‥ يجرفون العرق فى القصاعى‥ ويشدون اوتار الجسوم
الى الاعالى ‥ يسكبون فى البنايات العرق وينزلقون فوق السقالات
يجيئون ‥
ينشدون أغاني الصبر ‥ البعاد ‥ والتعب ‥ ويشربون
الدخان ‥ لكى الشمس تشرق ، تأتى من خلف فنادق الميدان
والبيوت ‥ تطل فوق الجسوم - منتظرة مقاول الأنفار - والبرد
ينداح . يمتط الصبح ويستطيل ‥ تتثاءب الحلوق وتهرش الرووس
تحت العمائم وينتظرون‥
وحين يغرب النهار ، يتعلق الليل بأجفانه ‥ ثقيلا . فى تراخى
التعب والنهار ‥ يحمل منكبه القفه ‥ متاعا ‥ والرأس المشقو
تتداخل فيه الرؤية ‥ والعيون ‥ وينتكس على باب الحارة .
يغض النوم الجفن‥ بعد تروش السقالات وعروق الاخشاب .وضربات
المعول فى العمق‥ ويدس المال أسفل الحصير والوسادة القش
وعويل الريح وغبار الاسمنت الصاعد مختلطا بذرات الجير المحرو
يصفرون فى الأذن.

نازحا من قاع الصعيد . جاء يتلمس فى عمران المدن المال‥‥
يرجو فى أزمنة غلاء الارض البور مكانا ينبت فيه ‥ قصبا
أوقطنا أوبرسيما كأمثال جيران الناحية ‥ رحلوا بعيدا ٪‥
ناءت بهم الارض والبلاد ‥ تواروا هناك حيث تكون الشمس
لهيبا . والصحراء فراغا والقطران متاحا لكل عبيد القرش
المغموس بهوان العراق المنزاح تحت الاقدام .
مقصيا كان جوارك ‥ لاتجتر بذاكرتك الهشة حكايات الحارة.

افتح الشباك :

اقتهر رجال الشمواه والرصفان ٠٠ التفت إلساق على الساق فظهرت الجوارب النايلون والاحذية الجلدية اللميع٠ ترنحت فـــــي النوافذ أعين النساء٠٠
فنجلت ٠٠ تزعن عن رؤوسهن الاقمطة ٠٠ وعدلن التسريحــــات ووضعن اللبان حتى ولت الوجودة القاعدة شطر النوافذفتبسمت وافترجت الحلوق وبان ذهب الاسنان٠
رفعت البيوت الواطئة وعملت الالات فى دلك الاساسات فالـــذى رحل قبل العام بعام فى ذهن الزوجة مات ٠٠ وليحى الوقت الرجل النابت فوق الرصفان ويكفى لحين الزمن القادم وجبات الفــــول النابت ٠
وتندك فى الاساسات الاعمدة ٠٠ تراوحت فى الطول والسمك مابين المتخمر مالا والفارغ جوفه لادخار المال٠
٠٠٠

ويغلق فى وجه الريح الشباك ٠ يلقى تحت جداره الساقــط نصف بياضه ٠٠ يجتر خوالى الايام والمرآة تتكور فى القاعة جوار الزير تحلب فى الصبح البقرة وفى الليل تحلب من ظهره الحب وتشــد عليه غطاءه الصوفى البالى حتى ينام فوق الصدر الرجراج ٠٠ وعند انبلاج الفجر تقوم لتعد مياه الاستحمام الساخن ٠ تسقط ادرانك وهى٠٠ تمشط فى المرآة الشعر وتلف الرأس بالقمطة٠٠
اما زالت هى جوار الزير ؟ تجتر الذكرى مثله٠٠؟ ام تكون٠٠؟ منقبض فيه القلب يدق٠٠ والباب ٠٠ رفيق المكان قدجاه ٠٠ ؟ ألم يمت هو٠٠ أعائدا حقا٠٠؟
نهض بدنه المستغرب٠٠ شد مزلاج الباب الصدىء ٠٠ وفتح٠٠

امرأة كانت بثوب النوم الهفهاف يتثنى البدن اللدن فى ميوعة

الصبا • طرقعة اللبان بحلقها تجهم وجهه المتحجر وأخذت الارض

عيناه •• ضحكت وقال ••

ـ اية الخدمة ••؟

ـ وارب فى الوجه الباب قالت

ـ تسمح بحفنه فحم•؟

ـ لاأملك سوى قوالح ذرة••

تثنى الردف يمينا على ساق •• قالت

ـ عز الطلب •• أيوجد ماهو أفضل من القوالح ؟

لم يدرك فى اللهجة المغزى •• قال وهويكثر من مواربة الباب••

ـ انتظرى•• سأتيك بقليل منه•

دفعت بساقها فى فتحة الباب• تلعثم •• قالت

ـ رجلى لاينام قبل أن يشرب•

ـ معسل ؟

ـ شيء كهذا •• وقليل من الملف••

امتدت بالقوالح يده •• قبضت أصابعها الملساء اليد الخشنة

ونظرت فى عينيه وضحكت ••لكن لم تولج للبدن الناشف قشعريرة

وعل•• انتهكت قلبه عوامل حقد دفين•• سحب اليد ورد الباب

مبصوفة صديقك كمدا ••؟ أم انهارت عليه جدران البئر ؟

امازالت بجوار الزير المرأة تنتظر العودة •• أم تكون؟

***

افتح الشباك

عيون النساء فى واجهات البيوت تفترش مسكنك الوضيع ، تخترق الجدران
وتتراشق بقلبك الخفاق يرسلن ضغائن تكاثفت متكتلة عبر اللحم الرخيص
والدم والتجاويف • خلف كل شيش وباب ألف ضرس يود سهشك وانتهاك
الرأس فيك •• يودون غرس الأنياب بقلبك•
يقلن وهمس الليل والنهار من الوضوح بحيث يسمعه الرجال المتأسفون
- أهو الوافد الوحيد الشريف ؟
- " قطيعة " •• من قلة الرجال فى المكان ••؟
- " وكسه " يراقب تحركاتنا من خلف شباكه ويدخر الفلوس•
والرجال القاعدون فى تأنق يرتشفون البيرة والسجاير المحشوة فـــى
ابتهاج الواثقين •• يرفعون حدقاتهم المحمرة نحوك ويصلبون فـــى
الأعالى الأنوف • ينظرون اليك وكأنك بعوضه تنهش فى جسوم النســاء •
ويضحكون •• فيهتز الرصيف • ويضحكون وشربون البيرة •• ويضحكــون
فينظر العيال•• ويضحكون فيصحى الغفاة•
ويضحكون فيلتفت العابرون•• ويحاصرونك بالعيون•• ويضحكون••
وانت انت خلف بابك العتيق •• لم تهتز فيك شعرة•• فرأسك لم يزل فى
الصعيد •
****

افتح الشباك

فالصمت غلاف يلف المكان بعد نوبات الضحك•
ويشدون من الجوزة الفاسا ، يحسها الغافى بقاع الحارة اعداد المعارك
ضاربة ستقيم الارض وتقعدها فيهرع بعياله وامراته الى جدران بيتـــه
ويغلق وينام •
ويشربون• تتضخم فى التلافيف بعوضة • تلتف وتلتف • فينكمشــون

وينكمشون ٠٠ وحين يهيم الدخان ينفردون ٠ فيغلق الباعة الحوانيت عندما تكون صناديق البيرة مساند ومقاعد ٠٠ وينكمشون ٠ يتسرب منك الخوف ليكمن فى السكاكين فيرسل أصحابها الك السكاكين فانت الواشى٠ وانت الدافئ٠٠ ويشربون ٠٠ويرونك وحشا كاسرا ٠ ويرونك بيتا ٠٠ ويرونك الرجل بألف ذراع٠٠ تحفر الآبار قبورا ٠ تصعد السقالات تقذفهم من عل بقوالب طوب٠٠ ويرونك قطعة حين التكديس٠٠يلمعونك بين النار ٠٠ يشربونك ٠٠ تصاعد دخانا ٠٠ تتكاثف وتضيع فى الجوف الظلمة ويضحكون ٠٠ وحين يوغل الليل فى الرؤوس وتبدو بوادر الفجر البعيد ٠٠ يعتقدون بأنك صرت سرابا فى الدخان ٠ لكنك معلق فى التلافيف٠

وتأتى النسوة ويفترشن الأرض ويحلو اثناء نومك المضاجعة تحت الليل الذاهب في مداخل البيوت أوفى الحجرات الارضية ذات النوافذ المفتوحة٠

***

فى الفجر، يشد رحاله نحواطراف المدينة حيث الاهار الناشية٠

واصوات غطيط رجال الليل فوق الأرصفة والمداخل تتكاثف عالية٠٠فوق الكتف القفه معلقة فى جاروف حاد النصل يهز السير بقفطانه البوبلين الكالح٠

نائمون هم٠٠ وانت ٠٠ مابالك٠؟

تتفرقص اعضاؤه تحت شمس الميدان الكبير واخوانه يباتون فى جحور الفئران ٠٠ عربات الليل المهجورة أوالقارب ٠٠ يتجازبون الاطراف الاحاديث المقتضبة المقتولة التى تتخللها التثاوبات ٠ ٠تهتهات سعال٠٠ ارتجافات٠٠ ضحكات نائمة وشروخ٠ حين تأتى العربة نصف النقل (مصرح بركوب عمال) يقفون ٠٠ يلقى النعسان نعاسه ٠٠الكسلان

كسله ٠٠ وشارب العقب عقبه ٠٠ يتهافت البعض يكون فى المقدمة٠٠ حيث مستوى رؤية للمقاول ، فأتعس ايام الغربة يوم بلاعمل ٠ يوم يرفض المقاول أخذ الكل لكن الكل كان ضئيلا ٠٠ تكدسوا فى العربة نصف النقل٠

*****

تدلى به الحبل فى البئر السحقيقة٠ مظلمة كانت وكئيبة ٠٠ عاليه فوقه العالم٠٠ وحيدا عاربدنه رتيب ذلك الحبل المتدلى الذى توالى فوقه هبوطا فارغا ٠ صعودا ممتلئا حائرا فى القاع٠

****

افتح الـ٠٠

لقد قتلوه ٠٠ صديقك قتلوه٠٠ رفيق الجدران والبيت والبلد ٠٠قتلوه شحنوا رأسه المشحون بالرغبة العارمة٠٠ وقتلوه ٠٠ حجبوا عن عنيه الرؤية ٠٠ ملأوا قلبه فولادى الجدران وتواصوا عليه ٠٠ منحوه رآسا غير رأسه وبصرا غير بصره٠٠ خلعت نسوان الحارة لباس العفة أمامه وهو، المحروم ٠٠ أتراهن ٠٠؟ اتراهم ٠٠؟ لماذا لم نفعل٠٠؟

اهمل فى القاع جاروفه٠٠ ارتكن الحائط الى جوار القفه واهتزت علاقة الحبل المتدلى ٠٠ فى الظلمة تصرخ الجوانب٠

أيوجد هنا ايضا شباك ؟؟

افتح ٠٠٠

امرأتك ٠٠ كانت

- اطلع ع٠ع٠ع٠ع٠ع

أهى جوار الزير ؟

- اطلع ععٍ ٠ع٠ اطلع ع٠ع٠ع٠ع٠
اصوات من عل تأتيه على شكل حفيف جدران البئر حين صعود القفة٠
افتح ٠٠
خذ تلك التي جاءتك تعرض اللحم والدفء والمشاركة ٠ افعل مايفعلون تكون مايكونون ٠٠ لديك القوة والعضلات٠
- اطلع ع٠ع٠ع٠ اطلع عععع
افتح٠٠ يأكلون التفاح ٠٠ يشربون البيرة٠٠ يرحلون ٠ وانت في المكان
ماذا يريدون؟
- اطلع ٠٠ عععع
- وكيف أهبط وأحفر الآبار ؟
ع٠ععع٠عع
والفجوة المضيئة الرأسية تساقط فوقه الحصوات٠
انتفض قائما ماسكا جاروفه٠ ضاربا في القاع المبتل معوله٠٠ معبئا القفه ٠٠ هرها ليرفعها الصارخون من أعلى البئر ٠
أطلع ٠٠ اطلع٠
كانت الشمس تسقط خلف العمائر الجديدة المترامية في أطراف الجبل والغروب يجيء ٠٠ وبدنه معلقاكان في الحبل٠٠ يسحبانه الى أعلى٠
*****

افتح الشباك

ألى متى على المعول بدنك الممقوت يظل مسنودا ؟
اليس من حق شق الكعب في الساق ان يرتاح على القفة؟
اتزعن لقول المساطيل والنظرات ؟ اوليمس النسوة٠٠ تزعن ٠ من بين اعمدة الجسوم في المضاجع ؟
******٩

ومعوله فوق الكتف والقفة واقدامه ، يغز السيرفي الحارة ٠ والاطفال يقتعدون حواف الأرصفة ٠٠ بادية من مزق الثيات العورات ٠٠ يتطلعون في بلاهة ٠ وأمهاتهم الشابات يتقصعن فوق الدهاليز يطرقعن في قفاه اللبان ٠٠

افتح الشباك

أترى القوم حول البيت حافين يبصرونك ؟

يزرعون على حواف الازقة السكاكين ويسنون لك الاظافر الطويلة؟

****

ويسود الليل الصمت ٠ يغلق بابه الخشبي الهش ٠ ورأسه المكدود مرتحلا عبر المدن النائية ٠٠ يجتاز حقول الزرع وقضبان القطارات ٠يرسوبحوش البيت الطيني الواهن ٠ يتسمع للصوت المحزون للمرأة المتروكة هناك تحت عيون الأم الكهلة ٠

اتتحرق شوقا هي اليك ؟

أم تهرب من بين الأعين حين تنام الأم وتبذل للاغراب اللحم ٠٠ ؟

رآها فوق القش تتلوى ٠٠ تنهش في بدنها عيون شبقية تمتد عبر فتحات الحوش ٠ من بين السقف الخوص أقدام الاغراب ٠

وكان الصوت المكتوم يود الصراخ ٠ ٠ولكن خوفا بالقلب يجثم فوق الصدر يقتل فيه صراخه ٠ ٠وكان الباب الخشبي الواهن يفتح ٠ ٠تمتد منه الاقدام الحذرة ٠٠ يلوون جذوعهم والاظراف خشية ايقاظ راسه المرتحل مرتكن الحائط ٠

في القاع صراح يتلوى ٠٠

والأيدي المقبلة تداعب الجسد المركون هناك ٠

مشلول الحركة هو ٠٠ يضم الاطراف ويتداخل ٠

تنداح اقدام الانس في زوايا الغرفة ٠ يفتشون الاركان ٠٠

والخوف يلمه. يرفعون اطراف الحصير ..يأخذون نقوده
والاعين الشبقية تتجاوز فتحات الحوش. وتمد أصابع مسنونة الاظافر .
تنتهك الجسد طريح القش.
كانوا يمضون بالنقود، ويغلقون الباب.
وكان رأسه ينتفض من غفوة النعاس الطارئة.
أسرع في رفع طرف الحصير .. فراغا كان مكان النقود .
والرأس بموج بسرعة غضب .. حمل معوله وانطلق يهبط الدرجات.

* * * *

زرعوا الصمت في الحارات.. مشبوحا كان فوق الشبابيك
اقتعد رصيف الحارة قدام الدهليز .
يجب أن يلتم الاخوة من أركان المدينة .يلفون جوارك. يقومون من
عزيمتك . يأتون اليك .. يمنعون عنك نظراتهم والهمسات.
كان رجال نظارات الشمس في الليل يرفعون قوارير الخمر .. يتجرعونه
ويأكلون التفاح وقطع اللحم المشوى في الارصفة المقابلة ويلقون البقايا
لافواه وكلاب ضالة تراقصت في جزل ذيولها القصيرة. وأقعت هنالك
تحت أرجل النساء وهن ينفخن صدورهن وارداههن وجمرات النار في
المواقد .
وبين انفراج الساقين. مسنودا كان المعول ، والرأس .. ينظر الى القوم
في صمت .. ودخانهم الكثيف يملأ سطح الأرض.
تهدلت تلافيفه حين أوغل الليل في القدم وسكن الاركان وتراصت
حجارة الجوزة وتعرت الرؤوس.. وارتحل بعيدا .. صعد الى غرفته :
أشعل عودثقاب ليضيء لمبة الغاز التى اطفأت . كان الباب مخلوعا
مسروقا .
جالت اطرافه اركان المكان .. قفه الخبز والجبن القديم.. لم يكن
هنالك سوى الظلام.

نهشت اضراس الغيظ اطراف القلب٠٠ وماج
نقب في الارض عن شيء يؤكل او يغني عن مساءلة القوم العاديين
الفي مأكول القلب٠
****

افتح الشباك

لعلم من اطراف المدن الناس٠٠ دعهم يأتون بكل فئوس الآبار والجواريف
والمقاطف فربما يحدث في الرقاب تقطيع فتحمل المقاطف الرقـــاب
وربما يتقصد صراخ النسوة فتحمله الجواريف٠
لالا تدع القوم العاديين يخترقون نظام حياتك٠٠ هؤلاء المساطيل نيام
النهارات ٠ أيوجد من يلبس في الليل نظارة شمس٠٠ اوفي ليل القيظ
جاكيت شمواه؟
التف التعب بنصف بطانية قديم واسترخى فوق حصيرة٠ وأبصر الباب
المخلوع٠ ممكن أن يأتوا الآن أن يحملوا بدنك ويلقوا بك بعيدا ٠٠
فلتفعل شيئا للباب٠
القى عن بدنه نصف البطانية وقام حائرا بين فراغ الباب وظلمات الدرجات
والسياج المكسور ٠
ويمكن أن تأتي أمراة الرجل الراحل لبلاد الغربة وتنهك فيك عزم حفار
الآبار ٠٠ تأكل منك ماء الظهر فلتبق ساهرا حتى يأتيك الصبح٠ اليس
الصبح بقريب؟ تقوقع في ركنه المظلم٠ والليل الزاحف ٠٠ يق وصراصير
واليوم يلملم نفسه من فوق جدران الكون ويحط بثقله على رأسه الواهي٠

افتح الشباك

اتسمع ٠٠؟
اصوات اللغج الاتي عبر الباب المفتوح ؟ حلم مفزع يجثم فوق المستقر
المرتقب ٠٠ كركرات الجوزات تحت الاذرع والارداف٠٠ يتكاثـــــرون

وتستطيل الغابات واكواب البيرة . ونفض عن عينيه النعاس .. زاح جدران النوم الاتى وقام .. اجتذب الحوض المثقوب الريق الناشف . نحو الصنبور امتدت يده .

فلتغسل وتشرب ، وتنتظر الصبح .

ادار الصنبور .. كان الماء مقطوعا .. انتظر في ركنه المظلم . لكن الحاءلم يا. .. وضع يده في المستوى الطبيعي للصنبور حتى يلتقط النقاط التي ربماتهبط في غفلة من مواسير البيت الصدئة . توقفت يداه ، واقتعد الارض متطلعا الى الصنبور في صمت رهيب .. اسرع يوضع تلبة من الصفيح وانتظر في تحفز ..

****

افتح الشباك :

ضحكات القوم عالية .. يأكلون اللحم المباع فوق الارصفة ويتندرون بالنكات التي تخترق الدخان المتصاعد معلق هو قدام شباكك المغلق فلاتفتح الشباك .

لكن الدخان في بئر السلم .. في الدرج الدخان . يحتضن السياجواشباح الليل المتسللة عبر الدهاليز .. سد فتحتى أنفه وتقرز .. في الصنبور الدخان .. الصنبور يخرج دخانا .. في الاذنين الدخان .. سدهما . في الحلق كان ، ضم الحلق فأختنق . من ثقوب الشباك يأتي والضحكات كاد الصدر أن يلتشي .. يتوهج الرأس .

تحرك صوب الباب المخلوع فالقب مخنوق ..

افتح الشباك :

فالدخان يحجب الهواء .. يفسد الريح الذى ينبغى آن يأتى فى الليل لكن قعود الارصفة يفتحون أفواه الوجوه المنتشية الصلدة .. يشهقون يلفظون الكلام .. يولون شطر اقتبال الريح فوهات زجاجات البيرة الفارغة ويعبأنوهاهواء .

فأحمل معولك حاد النصل واهبط .. حطم قواعد الجوزات .. اطمس ضحكات النسوة .. هشم زجاجات البيرة المشحونة هواء .
مخنوقا أنت . وسوف تظل تحت المقطف في الآبار مخنوقا . انهم يرتفعون حين ينتشون .. تبتهج الرؤوس فيعتلون امتعة الآخرين واجساد .. وتسقط انت . فأنت دائم السقوط .
ادفع بدناك الكسول نحو الباب المخلوع واهبط درجات السلم .
استنشق ريح الحارة قبل ان يقضي عليك وتصبح حفارا غير مذكور ينساك القوم هنا وقوم هناك خلف المسافات العمرانية وخلف القضبان التي بلا آخر .
يمكن للارض الصلبة حين هبوطك ان تهتز .. تختلج وانت في جوف الارض حبيسا تلقى مصيرا مجهولا تنحدر ان البئر .. تضيع ولايعلم أحد عنك شيئا .. تدفن تحت البئر .. من يقدر على رفعك من أسفل .

**

حين استشت رؤوس قعود الارصفه وفقدت توازنها النهاري . أبصرت أقزام البيوت الواطئة . واجهاتها الكالحة . سمات مداخلها المتمايلة .. باهتة كأفواه العجزة والمعتوهين . تنفث النتن في الظلمة .. عربات الرويا المرتكنة تحت اقفاص الدجاج الفارغة وفوارغ صناديق القمامة .. وتواصلت فيهم روائح تبعث على القيؤ رفعوا زجاجات البيرة .. تجرعوا الريح الساكن . القوا الزجاجات في غضب تناثرت على الارصفة ولم تكسر .. ارتدوا انظاراتهم السوداء والبنية الشمسية وتضاحكوا . امتطوا النسوة المستكنات .. انتثرت في الارض الزجاجات .. محظور عليك السير هنا .. اخلع نعليك وارفع طرف القفطان .. جز على الاسنان ومر .

انبعجت في الجو المشحون بـ حداتجاوس الأرصفة الاجواف ،تلاقت
فوق احمرار الاعين الاجفان وتهدلت افخاذ النسوة المستلقيات ينظرون
شامتات ٠٠ هامسات عاريات ٠٠ متأوهات٠
- ادعوكم يا صحبة المقاطف والمعاول وخشونة الكفوف٠
ادعوكم
لتأتوا بكل زمان الانتظار تحت شمس الميادين وأعمدة النور للظهور
العجفاء ٠
مساند كانت ٠٠ لتحملوا النبابيت وتهدموا جدران الدخان العالية٠
كثيفا كان الدخان ٠٠ يملأ الحلوق والمسام وأشكال البيوت٠
مخنوق هو القلب المتوثب للقفز نحو الخارج ومصلوب في الارض الصمت
مانت تحكات ٠٠ وضحكات تتخافت تمهيدا للموت ٠
سهنوا واقفين ٠٠ تطاير الشرر من العيون ٠٠ شرر مخدر ممزوج بالحنق
طلوا واقفين كانت قدمه المشلولة آلية الحركة تود الخطو ٠٠ لكن
الحلق المخنوق بمرفاه٠
- مد الاقدام ودعهم في الحارد ٠٠ سوف يعبأون كل هواء الكون في
الزجاجات ويموتون بدخانهم الخانق ٠٠ اكتم في الصدر الانفاس
ومر ٠٠ومر كان الاطفال قصار القامة ينتشرون على أطراف الأزقة٠٠٠
يودعون الزجاجات في المنعطفات بشكل منظم٠
والقدم المرفوعة تبغي الحركة نحو الشارع المقبل ٠٠ لكن ضباب الكون
الهابط من على تكاتف الدخان فتوقفت رجله المرفوعة وتنهدت صدور
الوقوف قبضت يده الخشنة حلقه المفتوح ، اعياء ٠٠يدنو الدخان
ترنح بدنه ٠
- تحت السقف الجوص تقبع أمرأتك ٠٠ تنتظر بنافذ صبر السنوات

العجفاء ان تنفك عن عنقك المعروق قروض الارض وبناء الدار ٠٠ لكن المال المتبقي لديك سرق الآن فلتبق سنوات آخر تحفر آبار عمائـــر شاربي الدخان والبيرة والدم.

تقدمت الساق المرفوعة خطوة ٠٠ تحفزت ابدانهم الوافدة ٠٠تناثرت زجاجات البيرة المقفلة حول قدميه حاول أن يتفاداها.

رفع ساقه الأخرى٠٠ توهجت في الصدور ادخنة غضبى.

- هذا المجنون لابد أن يأتي

- ان يكون معنا

- يلبس نظارة٠٠

- وجاكيت شمواه٠٠

- يكون ٠٠

يشرب ٠٠

ماباله ٠٠؟

- " وكسه "

تقدمت اقدامهم خطوة ٠٠ مخلوقا بالدخان الكون ٠٠ حاذروا من تناثر الرجاج المقفل والمعبأ ريحا٠٠ تناولوا الزجاجات في رفق ٠٠اودعوها ايدي العيال الذين انطلقوا بها يسدون الشوارع المقبلة مازالت النعال تعاني المصاق الارض ٠٠ تخاف التقدم والزجاجات.

افتح ساقيك وشق الضباب وشد الرفاق ٠٠ شد الرفاق.

لكن الرفاق في الشوارع البعيدة يحاولون التقدم فوق الارض المنداحة الزلقة. مد القدم ٠٠ مد القدم ٠٠ مد القدم٠٠

وأيدي الرجال في الخلف تأتي٠٠ تلاحق تحرك البدن المخنوق

- حاذر الزجاج

ـ حاذر الدخان

ـ حاذر الزجاج

ـ حاذر الدخان

تقطعت انفاسه الشاحبة ٠٠ وزاحت ٠٠ والعمائم هناك لم تأتي ٠٠ تلوى وكاد للسقوط ٠٠ تباعد الرجال في الخلف وأخذت النساء القامات.

أن سقط فلهم هو ٠٠ لكن البدن الخشن تماسك

يلفظ من الدخان المتوقف عن الحركة انفاسا

رفع بقدمه المتقدمة زجاجة ٠٠ تدحرجت تحت قدمه الاخرى ٠٠ انفجرت ٠٠ تقاعد الرجال في الخلف والنساء في انكماش وسكون.

تصاعدت بعض ريح ملأت رئتيه وبدأ ينطلق نحو الرجال ذوى العمائم الذين كانوا يتوارون في الشوارع البعيدة.

احمد محمد حميدة

رحلة الطقوس الاخيــرة

رفع نحوي عينين زجاجيتين . عكستا ضوء المصباح المنزلق من ثقب في سقف الحجرة شملتني ارتجافة اهتز لها جسدي. لم يعبأ بذلك الرعب الذي توطن داخلي منذ طرأت في رأسي فكرة البحث عن مثواها الاخير نكس وجهه مرة أخرى ودفن عينيه الزجاجيتين بين دفتي ذلك الدفتر الكبير الراقد فوق مكتب كالح الطلاء ... ابتلع الدفتر رأسه تماما .. في بطء متآكل راح يطوى الصفحات المحترقة الأطراف . يهتز رأسه يأسا كلما انطوت صفحة بين أصابعه .. عاد وعكس ضوء المصباح بعينيه .. اخترق الضوء قاع رأسي فأجفلت رفت أهدابي ولم أعد أتحقق شيئا امامي. فح في اذني صوتا نخره السوس :

- قلت .. ما اسمها ؟

كررت على مسامعه اسمها ..فانكفأ يدفن وجهه بين دفتي الدفتر الكبير .. لم تمض لحظات حتى رجع بظهره الى الوراء.. فتح فاه فلم أر سوى فجوة عميقة الغور.. تنفس فلفحتني رائحة كريهة ..شعر بنفوري فقال متسائلا :

- هل أنت واثق؟

رددت في شك حقيقي :

- كل الثقة

نفث رائحة فمه الكريهة وقال :

- لعل اسمها قد سقط سهوا

ارتعب قلبي.. تحلقت في وجهه الذي لم يعكس تعبيرا واحدا ينم عن اسفه

- كيف حدث هذا ؟

ابتسم وقال فى برود :

ـ رأيت بعينيك ـ تصفحت الدفتر ورقة ورقة

انتفض خوفى٠٠ ولكنه نهض واقفا خلف مكتبه ٠٠ هتف فى نفس صوته الذى نخره السوس :

ـ لاتجزع ٠٠ ليس أمامنا الا أن نذهب الى هناك ٠٠ عسى أن نستدل عليها ٠٠٠٠٠٠

خطواته فوق الطريق المترب واسعة٠٠ الهث خلفه٠٠ احاول اللحـــاق بخطواته المتسعة ٠ يتصاعد صوت لهاثى عاليا ٠٠ ظل طوال الطريـــق الى الجبانة يثرثر دون أن يلتفت اليّ كلماته المتشابكة يقذف بهـا الهواء بعيدا.تحدث عن الآخرة ودار الفناء بحياد غريب٠٠لم يهتزصوته ٠ابتســم وهو يؤكد كم من الموتى حملهم فوق منكبيه ٠٠ وقال أن الدنيا لاتســـاوى قلامة ظفر ٠٠ أهز رأسى تجاوبا وهو لم يهتم بردود فعلى نحومايقــــول توقف٠٠ قال :

ـ ناولنى سيجارة٠٠

تذكرت منذ الصباح لم اشعل سيجارة واحدة٠٠دست يدى فى جيوبى ابحـث عن علبة السجائر ٠٠ وجدتها خاوية فقذفت بها فى الهواء٠٠ عادت لتستقر تحت قدميه٠٠ قال دون أن يلتفت اليها :

ـ لاعليك ٠٠ اعتقد أنى احتفظ بسجائرى٠

اخرج علبته ٠٠ مد الى بواحدة٠٠ اشعلها لى٠٠ اخذ يسحب دخانهـــا بتلذذغريب ٠٠عاود السير فوق الطريق المترب٠٠ دخلت خلفه ممراضيقــا بين بناءين من دور واحد ٠٠ اكتشفت انهما قصيرتان اصدر صوتاغريبـــا من مخاريه ثم قذف بمخاطه فوق الارض المتربة وواصل سيره بلااحتفـــال٠ تهادى الينا صوت نباح كلب ٠٠ التفت نحوى فرأى كمية الرعب التى عششت فوق تقاطيع وجهى٠٠ ابتسم وهتف مع دخان سيجارته :

- لاعليك • الكلاب هنا كثيرة• •

انفتح الممر الترابي على صفوف من المقابر منتشرة حتى مرمى البحـــــر •

توقف قليلا ••اخذ نفسا عميقا من سيجارته وطوح ببقاياها في الهواء • • بلا

ارادة فعلت مثله• • اشار الى المدى الفسيح امامنا ••وصاح بصوته المبحوس؛

- انها ترقد في ركن ما من هذا المكان••

ثم قال في نفاد صبر :

- ان مهمتنا عسيرة••

رنوت اليه فادرك نظرة التوسل التي شعت من عيني :

- لاعليك ••

ورحنا نشق طريقنا بين صفوف المقابر وعيوننا تمسح اللوحات الرخامية

ادارة ظهره فجأة :

- قلت •• مااسمها ؟

همست مرة أخرى بذلك الاسم الذى سرعان مايتطاير من ذهنه•• وجعـــــل

يبحث عن أسمها فوق احدى اللوحات الرخامية • • اثارت اقدامنا التراب

فتصاعد نحو الوفناء• سعلت بشدة•• لم يلتفت • • واصل خطواته الواسعة

تجمعت بعض كلاب ضالة ونبحت في وجهينا • قذفها بحجر فتفرقت خلـف

المقابر•سب اباءها ومسح بمنديله الباهت اللون وجهه وصوب الى عينيه

الزجاجيتين ••

- انـت تجعل مهمتنا صعبة وعسيرة•

ثم في صوته المبحوس

- انك تجهل حتى يوم دفنها

حاولت أن افهمه انني كنت بعيدا حتى قام بدفنها وانني قد أكون سببا من

اسباب موتها المفاجيء وان شيئا ما في نفسي يثير داخلي أسى وخوفـــا

وتأنيبا كبيرا•• اردت أن اخبره بما يطويه بخفي علها من رغبة مافـــي

نفسي.. اريد على الاقل أن اعرف البقعة التى استقر فيها جسدها الواهن لعلى اكفر عن غيابى وتقاعسى عن تشيعها حتى مثواها الاخير . كنت احاول أن انتحل الاعذار الواهية لنفسي.

- نز جسدى عرقا .. بدأت اشعر بلزوجة عنقى .. انتابنى ضيق من تراكم الغبار حولنا .. وفكرت فى التخلى عن فكرة البحث عن مثواها الاخير ... واجهنى بوجه شرس ؟
- لم نترك قبرا . فأين تراها تكون ؟
تسرب الى نفسي يأس مرير :
- هذه مهمتك
لوح بذراعيه فى الهواء :
- ولكنك تسد السبل فى وجوهنا ..
وقفنا كنقطتين وحيدتين فى وسط هذا الخلاء الشاسع . بغتة اعلن فى حبور غريب :
لاتبأس .. ثق أننا سنعثر على مثواها الاخير ..

....

تابعت ظله الممتد وراشى كان طويلا . لم ألحظ ذلك من قبل . لكننى كنت ابدو كقزم ضئيل.. اجتاحنى رعب .. عاودت التفكير فى التخلى عن مثواها الاخير . استقر رأيى ألا استعين باحد . اقنعنى بأن معلوماتى الضئيلة لن تتيح لنا فرصة العثور على مثواها وأكد لى أن شيخهم لديه فراسة شديدة فى معرفة موتاه. فهو يستطيع أن يحدد معالم الوجه والجسد يستطيع أن يحدد يوم الوفاة ومن دفنها بيديه.. وقال بنفس الموت المشبع برائحة فمه .. أنه لاسبيل أمامنا . رأيت ظله يدلف نحو زقاق ضيق .. تسارعت أنفاس .. اشتممت رائحة غريبة ومنفرة ظلت ربما تفوح من ثوبه الذى لم يخلعه منذ اليوم الأول فى مشوار بحثنا السمنى . لمحته يقترب من

رجل يقتعد كرسيا خرزانيا أمام دفتر باب دارقمير... لاحت بعض قطع الثياب من فوق السطح ترفرف كأعلام ورقبة . بش الرجل لمرآه .. اكتفى بأن ابتسم له ابتسامة ضيقة .. اقترب من رأسه اسر له بشيء اشار لي الرجل دنوت في وجل. حييته فلم يرد تحيتي ارتعشت أوصالي ووقفت أمامه كتمثال .. نهض فجأة فأنخلع قلبي .. اعطاني ظهره ودخل من باب البيت المتناهي في القمر . احسست وأنا اتبعهم أنني داخل الى قبري .. كانت الطرقة طويلة ومتربة الارضية وهناك بعض خيوط العنكبوت تتدلى من الاركان . سمعت أصواتا متداخلة فزعت لدخولنا .. ولمحت اشباحا يختلط بعضها بالبعض ثم تختفي داخل ابواب مغفورة الافواه في الطرقة الطويلة سعل الرجل ودخل من باب جانبي شبه مظلم . ترددت طويلا ولكن صاحب العينين الزجاجتين رشقني بنظرة عارمة. خطأطأت رأسي ودخلت خلفهما . الغرفة واسعة . حميرة تحت اقدامي . استقبلتني رائحة القدم رأيت الرق الذي أعتقد أن شيخهم قد جلس فوق حشية تتصدر الغرفة.
الغرفة خاليا الا من بعض اشياء اجهل وظيفتها .. لاادري لمادا اعتورني خوف كبير . رحت أبحث عن ريقي في فمي الجاف فلم اعثر الاعلى طعم التراب المخلوط بنفس الرائحة. دون صوت جلس صاحب العينين الزجاجتين وأمرني أن اقترب منهما .. وضع حشية في مواجهتهما .. فجلست في حذر .. قال الشيخ :

- موقفك صعب ويحتاج رأسا لايعكره شيء..

ثم زعق بصوت متحضر فأقبلت من الباب أمراة بدينة . جاءت تترجرج في سيرها . بلا ادنى التفاته انحنت تلتقط الاشياء الموضوعة في ركن الغرفة . قال :

- جهزى المعلوم

تسلطت على رأسي رؤى غريبة وقررت أن أنهض من فوري وأقوم خارجـــــا ٠
نظر الى صاحب العينين الزجاجتين ٠ ادركت أنه قرأ افكاري فتسمرت فـوق
الحشية ٠ سمعت صوت طفل يبكي فشعرت بالاطمئنان ٠٠ تبعه صوت امـرأة
تنهره عن البكاء ٠ حدست بأنها المرأة البدينة التي دخلت الغرفة منـــذ
لحظات قليلة ٠٠ هز صاحب العينين الزجاجتين رأسه وقال في مودة
- ثق أننا سنعثر لك على مثواها الاخير ٠
كنت قد نسيت لماذا انا أجلس أمام هذين الرجلين تماما ٠ ولسيتهابهيـــن
خوفي الذي أخذ يتسرب الى كل جزء من جسدي٠
اقتحمت الغرفة رائحة شيء محترق ٠٠ لمحت المرأة البدينة تقترب من ذلك
الرجل الشيخ وتضع أمامه صينية تتأجج فوقها جمرات من النيران٠ اشارلها
بالخروج فلبت طائعة ٠ نهض صاحب العينين الزجاجتين واحضر مايشبـــه
الجوزة ٠ اعد جمرات النيران ثم وضعها فوق قمة الجوزة بماشةحديديـــة
جذب نفسا من طرف عود الغاب المثبت في قاعدتها ثم ناولها للشيـــخ
دون أن يفوه بكلمة واحدة ٠٠ دس الشيخ طرف الغاب في فيه٠٠ كانـــــت
الغرفة شبه مظلمة٠٠ وهناك نافذة حديدية خلف ظهريهمالا تتيح الاالقدر
ضئيل من ضوء النهار بالتسرب الى داخل الغرفة ٠٠ تخللت حلقات مـــن
الدخان بدت وردية في بداية الأمر ٠ بغتة ودون توقع فتح الشيخ فاه ليقـول
شيئا بهرني صف الاسنان الذهبية التي التمعت تحت ضوء النافذة الواهن؛
قال :
- مامللتك بها ؟
قلت وانا اتحاشى النظر اليه :
- حميمة
شد نفسا وقال
- صفها لي ٠٠

تحيرت كيف أصفها له. فمنذ وقت بعيد لم أرها ٠٠ هل اصبحت سمينة ومترهلة الجسد أم احتفظت بجسدها الواهن الضعيف ٠ هل اشتد عودها أم هذل ٠٠ ولكنى قلت للشيخ :

- امرأة ذات قلب عطوف

كنت أعرف أن قلبها هو الوحيد الذى لم تغيره الايام والسنون.

برقت اسنانه فى فراغ الغرفة وابتسم ابتسامة لم اعرف فحواها ٠ ورأيته يجذب الانفاس بحرارة غريبة على شيخ مثله ٠٠ والظلام الباهت لم يتح لى فرصة تقدير عمره ٠٠ هل مازال يحتفظ بشبابه أم جرت عليه الايام مجراها ٠٠ نظر الى وتساءل :

- أكانت عاقرا ؟

قلت وأنا فى دهشة من غرابة اسئلته وتأكد لى أنه ربما يكون معتوها :

- كانت ولودا ٠٠

تساءل من جديد

- أكانت تلد ذكورا أم أناثا ٠٠

قلت فى خوف حقيقى

- ذكورا ٠٠

نفخ فى وجهى دخان جوزته وقال :

- أهم كانوا رجالا أم انصاف رجال.

حملقت فى وجهه ٠٠ كان وجهه هادئا ٠٠ قلت :

- لاأدرى

هز رأسه فى ضيق وقال أن على أن اتذكر كل شىء ٠٠ صغيرا كان أو كبيرا فذلك سيسهل لمهمة عليك وكنت اريد ان اقول ماذا يهم أن تعرف ان كانوا رجالا أم انصاف رجال. ذكورا أم اناثا ٠ نعاجا ام آدميين ٠ رأيت الامر كله كدعاية باهتة ولامعنى له وحاولت أن اقوم خارجا فاغرفاه وبرقت

اسنانه الذهبية وحدجني بنظرات كانت تقول مادمت جئـــت

برجليك فلا ارادة لك في الخروج من هنا الارادة هنا ارادتنـــا

قال كطلق نارى -

- امتأكد من موتها ..

قلت وقد اختلطت الاشياء في رأسى :

- كل التأكيـد ..

- اتعرف يوم وفاتها ..

قلت وانا اتحاشى النظر الي اسنانه الذهبية :

- صدقني لااعرف شيئا عن وفاتها .. ربماتكون قد ماتت منـــذ

ايام أو منذ شهور أو سنوات لست اعرف بالتأكيد ..

نفخ الدخان وكان لونه يقترب من الزرقة مماجعل الجو حولناغريبا

سمعت ضحكة جاءت من الطرقة الخارجية .. التفت الى الشيــخ

مرة اخرى وتساءل :

- أفاطمية هى ؟

قلت في دهشة :

- لاأدرى ..

قال :

- عباسية اذن ؟

عاودت أقول فى عدم فهم :

- لاأدرى

اشاح بوجهة بعيدا وكأنه تقزز من جهلى :

- علوية أم درزية ..

بدأ العرق يسيل على جبهتى واحسست باحراج من تلك الاسئلة التى لا أفهم مغزاها .. وكنت اريد أن اقاطعه وأقول له أن كل ما أعرفه هى أنها ماتت فى يوم ما لاادرى بالدقة ماهو .. وجدته يقول من جديد :

- أمتأكد من موتها ..

لم ينتظر ردى .. قال

- لايحتمل أن تكون قد قتلت

بهت نظرى فى وجهه .. كان يدخن .. حولت نظرى الى صاحب

العينين الزجاجتين مستغيثا • كان يتابع حركة الغاب بين

شفتي الشيخ • هتفت من أعماقي :

مستحيل ••

زعق في وجهي هذه المرة

- من ادر الثوابت غير متأكد من شيء

تداخلت الرؤى ووجدته يدفع بطرف الغاب نحوى

- خذ •• يجب أن يكون ذهنك صافيا ••

بيد مرتعشة تناولت الجوزة من يده•• ووضعت طرف الغاب

بين شفتي•

•••••••

لم تصبني دهشة مما رأيت

رأيت نفسي عاريا تماما كما ولدتني أمي وكنت في الغرفة وحدى

راقدا فوق لوح خشبي تحت النافذة الحديدية• ورأيت في السقف

مصباحا متدلي يتأرجح يمينا ويسارا •• بحثت عن الرجل ذى

العينين الزجاجيتين بعيني لم يكن له وجود داخل الغرفة•

وكانت تلك الرائحة المميزة تفوح من مكان لا ادرى موضعه •

وهنالك ثمة دخان يعبق السقف وكأنه قطع من السحب يهيم السماء حاولت أن أصرخ ولكن صرختي ضاعت في فمي .. قلت لنفسي لماذا تنام عاريا هكذا . فكرت في النهوض ولكن جسدي كان خاويا كقطعة قطن مندوف . ولكني كنت يقظا تماما . ناديت الرجل فدوى صوتي في فراغ الغرفة .. دنوت الى الباب كان مغلقا .. شعرت بأني في مأزق حقيقي ماذا حدث لي بالضبط . تذكرت أنني كنت ابحث عن مثواها الاخير ولكن مالذي جاء بي الى هنا . لم يطل تفكيري اذا انفتح الباب ودخلت أمراة بدينة . لم استبن ملامحها تماما . وقفت عند قدمي .. لم تخجل من عريي .. ولم أخجل أنا .. بل ظللت متوسد اللوح الخشبي . قلت لها :

- اين صاحب العينين الزجاجتين

ضحكت ضحكة حسبت أن سقف الغرفة سينهار لضحكتها .. قالت

- انتهى لتوه من عمله

فغرت فاهي دهشة :

غسلى

قالت دون أن تخجل

- بعد قليل سيحضران لحملك الى هناك

اعطتنى ظهرها وذهبت الى باب الغرفة. فتحته الى اقصى

اتساع . حين عادت وجدت على رأسها وجها ذا ملامح ليست

غريبة على . دققت النظر فى ملامحها . صعقت .. حاولت

أن أقوم لأخذها بين ذراعى اخيرا عثرت عليها قلت فى صوت

لاادرى كيف خرجت من أعماقى.

- انت

قلت وكادت الدموع تطفر من عينى

- بحثت عنك طويلا .. اين كنت

دوت ضاحكة .. هالنى ضحكها .. كان من المفروض ان تعانقنى

فمنذ سنوات طويلة لم أرها ولم ترنى قلت وفرحة طاغية

تهز كيانى !

- اخيرا انت

ولكنى تنبهت اننى مازلت فى تلك الغرفة القميئة فتساءلت

- ماذا تفعلين هنا

عوت ضاحكة من جديد قالت :

- وماذا تفعل انت

- كنت ابحث عنك

دخل الرجل الشيخ من الباب وقال لها فى مودة

- هل انتهيت

قالت له وهى تضع يدها فوق كتفه

- هو جاهز الان

ونادى بأعلى صوته. حضر بعض الرجال لم أرهم من قبل انحنــوا

تحت اشارة من يده نحوى ورفعونى وانا فوق اللوح الخشبــى

على اعناقهم .. جاءنى ضحكها من خلف ظهرى. فصرخت فيها :

- ماذا فعلت حتى تفعلى بى هذا

حاولت أن اقفز من فوق اللوح الخشبى. لم استطع كأننى مكبــل

بسلاسل حديدية وخرجوا بى من الباب رأيتها تعانق الرجــل

الشيخ .. فصرخت وصرخت وصرخت

......

هزتني يد فانتفضت كجرو ٠٠ فتحت عيني على اسنان ذهبية

لضيده

ـ هل انت على استعداد

فركت عيني فقد ضايقني ضوء المصباح برغم ضعفه الهزيل وتساء

علام الاستعداد

لمحت نظرات دهشة على وجه الرجل٠٠ آتاني صوت من الجانب

الآخر للغرفة

ـ انسيت من تبحث عن قبرها ؟

تذكرت فجأة كل شيء نهضت قافزا فرأيت الرجل ذا العينين

الزجاجتين يستند الى الحائط متقرفصا كقط ٠ حين استردت و

دخلت المرأة البدنية رحت أحملق في وجهها لم تكن هي بأية

حاول حاولت أن اتذكر تلك اللحظات المريرة التى مرت على ٠

بدت خيوط ماحدث تتجمع في رأسي فعاودني الخـــــوف

فانكمشت حول نفسي ٠٠ ودون توقع مني تساءلت ٠

- أهبط الليـل

لوح الرجل صاحب الاسنان الذهبية

- لقد انتصـف

انتفضت مرة أخرى وقلت فى هلـع

- يجب أن اذهب حالا ..

صرخ الرجل ذو العينين الزجاجتين

- لماذا جئت إذن

قلت فى نبرة توسل

- لقد ذهب الوقت

وقال الشيخ :

- هذا افضل وقت للعثور على قبرها

وقال الرجل المقرفص عند الحائط

مقابر الصدقة ليست بعيدة

فوجئت فعدت ابحلق فى وجهيهما

- الصدقة

قال الشيخ

ماذا كنت تظن لقد بحثت فى كل مقابر المدينة

وتساءلت فى شك من كل مايجرى امامى ؟

فى صوت واثق

- بالتأكيد

داخلنى ريب من هذين الرجلين . خاصة كبيرهم أوشيخهم

وحدست أن فى الامر خدعة ما اجهل تدابيرها

لقد منحتهم كل ما معى من اجل البحث عن مثواها الاخير

لماذا يدبران لى .. هل يخدعانك ام أنك تدور فى

حلقة مفرغة .. عليك بالعودة الان والتخلى عن البحث

عنها .

قلت لهما في صوت مرتعش

- فلنؤجل هذا الى الصباح

لم ادع لهما فرصة . دفعت الباب فخرجت

. . . . . .

في ذلك الصباح ذهبت اليه .. كان جالسا فوق مقعـــــــده

الخيزراني. لم يبهس حين رآني قال:

قلت في ثقة :

- جئت من أجل البحث عن مثواها الاخير :

حدجني بنظرات ملتهبة وقال في نفس صوته الذى قابلني

به البارحة :

- موقفك صعب ويحتاج رأسا لايعكره شيء

سهض عن كرسيه الخيزراني من باب البيت المتناهي في القمر ٠٠ وهويدخل الطرقة الطويلة احسست واني اتبعه انني داخل الى قبري٠٠ كانت الطرقـــة طويلة ومتربة٠٠ وهناك بعض خيوط العنكبوت تتدلى من الاركان ٠سمعت اصواتا متداخلة فزعت لدخولنا ٠٠ولمحت اشباحا يختلط بعضهابالبعض ثم تختفي د اخل ابواب مفغورة الافواه٠ سعل الرجل ودخل من باب جانبي شبه مظلم ولكنني لم اتردد ٠٠
دخلت خلفه لاأنوى على شيء٠٠

٠٠٠٠٠

سعيد بكر
١٩٨٥

السيدة العجـــوز

أُصاخت السمع. تناهى اليها زحف الاقدام على الدرج.. من اسفل
" لقد أتوا "
ارهفت . كالعاصفة تنذر بالاصوات من بعيد . كثيرة كانت . كلما
ارتقت تكاثرت..
" ليأتوا . لن اغادر بيتي "
لاذت بالركن المألوف . بين الاريكة والحائط .. اعتادت الجولان
في الماضي
من هنا .. الامعان فيما حدث . التطلع الى الآتي.. تتصوره..
تحفز نحوه.. تستحضر إرادة صلبة. تحاول كبت خوفها . تدفنـــه
في أعمق بئر . تحكم فوقه الغطاء
تجاهد الظلام والوحدة . المتحالفين ابدا . ضد الشيخوخــــة
ضد الجسد الذي لعقته السنون نحلته تركت القفص الصدري عليه
خاوية. تدب فيها الاصوات . تتردد بين اضلوع.

اعرفانك محامي الخصم. الايصالات يا استاذ . أنا استلمتهامـــن
موكلك يدا بيد واعطيته الاجر شهرا بشهر . كنت أتعلم ؟

ركلت الاقدام الباب من الخارج. صوبت عينيك على الكالـــون .
على الترباس اسفل الباب !
ازت المسامير من الضغط . دفعة قوية خلعت الباب . انكفأعلـى

على الارض تطاير طرف فرش المنضدة وغطاء الفراش. وبانـــت الوجوه من فتحة الباب الشاغرة. كالصخر الاصم.. جاســـت الاقدام في البيت . تركل مايقابلها .

صحوا النافذة . اندفع تيار هواء بين النافذة والباب . يابنـي آدم لاتساومني .. اين ابيت ".

سلقوا الجدران. اعتلو واجهة البيت . الشرخ في الجدار عميق

خلعوا شيش النافذة . قذفوا به الى الشارع .. طار .. صفق علـى البعد ..

كم تطلبين " قولي" كم ..

مال قارون لايكفي . لن ابرح بيتي . افهمت . لن أبرحه ابـــدا ابدا ..

هززت رأسي بالرفض . طفرت من عيني دمعة. ياخسارة ماكنـت احب أن تطفر تجلت آيات الاعجاب في وجهه . منحنى قوة فردت ظهري. كنت اكافح السقوط.

غادرته متماسكة . اما اجمل أن يكون الحق في يدك . لتقذبـه وجه الباطل..

خر التراب من السقف .. اضلاع السقف الخشبية تئن . ينغـرز نصل المعول فيها " تزيق " الالواح المتراصة من فوقه هشـه تنثال مع التراب . فوق الفراش والاريكة . يبعثرها الريـــح المتصل بين الباب والنافذة.

امتد شرخ في الواجهة . شطرها . تشعب وسقط من بينه حجـــر .
نفضت ذراعيها في حنق مسحت رأسها . مسحت ووجهها براحتيها
ازالت التراب المترسب بين التجاعيد .

استضيفك في بيتي حتى ابني العمارة . سأعطيك في العمـــارة
الجديدة .

صوته الخافت يثير الريبة . هززت له يدي : أكتب ماتقول "

ابتسم . اطل الخبث من ابتسامته " ابن الكلب . يريد أن يلقـــى
بي الى الشارع . أبيت على الرصيف . مع القطط . بجوار علـــب
القمامة . في الصيف شمس حارقة . . وفي الشتاء " غارقـــة
نجوم السماء اقرب لك .

ستخلينه . اقسم ستخلينه . انا وانت والزمان طويل .

انفتحت طاقة في السقف . لمعت نجمة خلف ذرات التـــراب
فعل المعمول يقدح احجار الواجهة البيت خال . على رأســـى
ارتضى السكان الرحيل . قبضوا (البواكى) ورحلوا . .

حقيقى . اصابه الكبر . قالوا عنه " ايل للسقوط " نخرت السنون
جدرانه . لكنه منتصب القامه لم يزل .

" تأجلت القضية لعرض مستنداتك على الخبير .

كادت تنهار . انهارت واجهة البيت . كشفت عن احشائــــه
انهار الدرج .. هام التراب فى البقايا المتساندة. ملأ بشـــر
السلم.

بقيت فى الركن تحملق فى الظلام .. تغالب الضباب المتمثـــل
فى ذرات كثيفة . تتنفس تراب تستنشقه . تبصقه .

ولم يكن بد غير المكوث والانتظار .

تبدد الغبش . انجلى الصبح وبان الشارع. وخيالات المـــارة
تعبر . امام البيت .
تتجمع كالنمل حول كسرة الخبز . تكاثر الناس . حول سلـــم
الاطفاء . عربة الاسعاف
الجميع يحملقون فى الغرف المرصوصة على الشارع بطلائهـــا
الجيرى متعدد الالوان يشيرون الى شيءاسود متململ بيـــن
الاريكة والحائط.

هبط الرجل من فوق السلم دونها .. توجه " للمأمور ".
صاحب البيت ممتقع الوجه . كان لوجوده على ارض الغرفـــة
لحظات زئبقية ثقيلة. انحبست لها كل الانفاس . تحولـــت
القلوب الي المحاجر . تتطلع ماكادت تعتلى ظهر الوجـــل
وتطوق عنقه وتستقر حتى تململت النفوس خوفا . صدرت عنهـــا

همهمات فزع مكبوت . وبدأ وجه السيدة العجوز . مفمض العينين يتقاطر من بين تجاعيده " كركم اصفر " وصل الرجل الى حافـــة الواجهة . تحسس بمشط قدمه اول درجات السلم. لم يكن ثمـــة دعامة يعتمد عليها . حركة حذرة. متوجسة . بحثا وتلمســـا . أول درجة من السلم. مؤشر يحرك العيون من أسفل . كادت تستقر أول قدم أول درجة سحبت الانوف شهيقا عميقا .. لكن القـــدم الاخرى لاتزال على ارض الغرفة .. مال بجذعه لليمين . لتقـــل يسراه عبر الهواء . بسط ذراعيه كذلك كان . جذع مائل والـــدم تغادر ارض الغرفة وذراعان مبسوطتان لحفظ التوازن. استقـــرت القدم الثانية فوق نفس الدرجة من السلم وتصايح الناس فرحـــا زادت دهشة الجميع حين شاهدوا السيدة العجوز . تتعلق برقبة الرجل بيد واحدة. فقدكانت اليد الاخرى تلوح في الهواء بقبضتها .

سعيـــد بدر

